

(١) النخريات الاثرية في مناطق مشايخ الزبي الكبرى في العراق

بقلم : فؤاد سفر
مفتش التنقيبات العام

اشتهر العراق بكثرة آثاره وتنوعها فهي من سادتها نظم اجتماعية راقية وكيانات سياسية راسخة مخلفات الحضارات التي نمت فيه وتطورت منذ أن وحضارة زاخرة بالصور الفكرية والقيم الروحية ، بدأ الانسان الاول يصنع آلاته من الحجر قبل غنية بابداعاتها المادية ، وصلت الى اوج من النضج عشرات الوف السنين . على أيدي السومريين قبل نحو من أربعة آلاف سنة .

فقد وجد الانسان في وادي الرافدين بيئة صالحة وأحوالا مؤاتية لتطوير حياته ولتقدمه في وسائل التمدن والعمران . فبعد أن كان يتجول في الهضاب الشمالية والشرقية وفي البوادي الغربية من العراق حيث تنتشر آثار موطنه الاولى انتشارا عظيما ، اهتدى الى حرث الارض وزرعها ، فأدى ذلك به الى الاستقرار في اكواخ توصل الى تشييدها فكان ذلك منشأ القرى الاولى التي تطورت مع الزمن وآل بعضها الى أن يصبح مدنا

(١) نص المحاضرة التي ألقاها الاستاذ فؤاد سفر ، رئيس وفد الجمهورية العراقية الى مؤتمر الآثار الثالث المنعقد في فاس (المملكة المغربية) من ٢٠-١٠ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

وقد تركت لنا هذه الحضارات آثارا كثيرة متنوعة ظلت مطمورة في خرائب واطلال تنتشر الان في مختلف ارجاء العراق ، فلا تخلو بقعة من بلادنا من مواضع للآثار (واقصد بالمواضع التلول والخرائب الاثرية) ، هذا الى كون أكثر مدن العراق الحديث تقوم على بقايا مدن أثرية قديمة كبغداد ، والموصل ، والكوفة ، وسامراء ، وكركوك ، واربيل وغيرها . ولقد تمكنت مديرية الآثار العراقية من استكشاف نحو من (٧٠٠٠) سبعة آلاف موضع اثرى في شتى ارجاء القطر وما هذا العدد الا بعض من تلك الآلاف الأخرى من المواقع الأثرية التي لم تمتد إليها أيدي المنقبين الى الان .

ولقد أصبح الان عدد كبير من هذه المواضع مهددا بالزوال لوقوعه ضمن مناطق ومشاريع الاعمار والري الكبرى أو لوقوعه في الاراضي

التي يجرى استصلاحها واحياؤها . وهذه المشاريع على انواع ، فمنها ما سيؤدي الى غمر اراض شاسعة هي وما فيها من آثار ، بالمياه التي تستخزن للري . ومنها احياء اراض باثرة بشق الترع والمبازل وتوزيعها على المستثمرين مما سيؤدي الى عزل المواضع الأثرية عن طرق المواصلات كما يحتمل انشاء قرى حديثة على البعض من هذه المواقع .

وتتجلى أماننا خطورة هذا الموضوع وجسامته الاضرار العلمية الأثرية الناتجة عن تنفيذ هذه المشاريع الواسعة التي يتزايد عددها يوما بعد يوم باتساع النهضة العمرانية الحديثة في العراق ، فاذا علمنا ان هذه المشاريع تقوم في الغالب في مواطن الحضارات القديمة اي في المناطق التي تكبر فيها التلول والخرائب الأثرية أدركنا مدى ما يترتب

على ذلك من نتائج في هذا الشأن . ان مديرية الانار العراقية العامة ، وهي المؤسسة الوحيدة في العراق المسؤولة عن آثار البلاد والمحافظة عليها واستخراجها من باطن الارض ، ومعالجتها وعرضها في متاحف - أخذت على عاتقها مهمة جديدة خطيرة وهي التحري الأثرى الواسع في المناطق التي ستتناولها المشاريع الاعمارية الكبرى ، والحفر في باطن التلول الأثرية الواقعة في تلك المناطق ، وذلك للحصول على أكبر كمية من الآثار المطمورة فيها قبل ضياع الفرصة بانجاز تلك المشاريع فوجدت لهذا العمل ما لديها من امكانيات فنية ومالية هي في الحقيقة قليلة ، لاسيما الفنية منها ، بالقياس الى طبيعة هذه الاعمال الجسيمة الطارئة المتشعبة اذ انها تتناول بقايا حضارات كثيرة مختلفة ينبغي ابرازها في وقت محدود .

ولبيان طبيعة التحريات الأثرية في مناطق المشاريع الكبرى نذكر على سبيل المثال ان في منطقة « خزان دوكان » وحدها اربعين تلاً أثريا سينمرها الماء قريبا . ومن المعلوم ان التنقيب في هذا العدد من المواقع الأثرية يعد عملا جسيما لا يمكن الفراغ منه في ثلاثة أو اربعة مواسم من الحفر تسبق انشاء هذا الخزان ، هذا الى ان هذه التلول تختلف في أطوارها الحضارية فمنها ما يطن آثارا من عصور ما قبل التاريخ ومنها ما يضم بقايا سكنى للعصور السومرية البابلية ، ومنها ما هو من الادوار الاسلامية أو من عصور اخرى ، وكلنا يعلم ان اجراء التحريات في مثل هذه المجموعة من التلول يتطلب عددا من الاختصاصات مما لا يتوفر في أية مؤسسة مهما بلغت من التوسع .

والرغم من كل ذلك قامت مديرية الآثار العامة بالتحرى الواسع فى مناطق ثلاث شملتها مشاريع الرى الكبرى ، كما بدأت حديثا بالاستكشافات والحفر فى منطقة رابعة خصصت لها حكومة الجمهورية العراقية قبل نحو من شهر من الزمن خمسة وعشرين ألف دينار أرصدها للتحريات الاثرية فى هذه المنطقة الجديدة وهذا حقا مبلغ مرموق يفى بما يطلب عمله فى نحو سبعة عشر تلافيا معظما صغير قليل الشأن يقع فى الارض التى سيغمرها الماء بعد مرور سنتين عند

انجاز بناء سد دربندخان على نهر دىالى . وتعرف هذه المنطقة بسهل شهرزور ، ولحسن الحظ تقع التلول الاثرية المهمة الكبيرة خارج حدود القسم المنخفض الذى ستغمره المياه المخزونة . أما المناطق الثلاث التى جرى التحرى الاثرى فيها ، فهى منطقة مشروع المسيب الكبير ومنطقة النهروان وحوض دوكان . فمشروع الاعمار فى المنطقة الاولى شمل شق جدول عريض من نهر الفرات ، يسقى جزءا من سهل واسع أجرد واقع بين دجلة والفرات الى الجنوب من مدينة بغداد ويعرف هذا الجدول بنهر المسيب الكبير . تشعب منه شبكة من أفنية الرى تتخللها شبكة اخرى من ميازل تصريف المياه المالحة . ويشمل هذا المشروع توزيع الاراضى المستصلحة الى وحدات استثمارية وانشاء المساكن الحديثة والقرى التعاونية للفلاحين . وفى اراضى مشروع المسيب الكبير أفنية دارسة من عصور مختلفة ، وتلول أثرية كثيرة بينها ما كان مدنا واسعة كمدينة « كوثى » التى اشتهرت فى تاريخ العراق القديم وظلت قائمة مزدهرة فى العصور

الاسلامية الاولى . ولقد انجز الفينيون فى مديرية الآثار العامة استكشاف هذه الافنية الدارسة والتلول الاثرية وثبتوا امتداداتها أو اماكنها على خرائط المسح التفصيلية وعينوا اطوارها الحضارية بدراسة الملقى الاثرية المنتشرة على سفوح تلك التلول وما حولها . ولن تتوسع فى الكلام على تفاصيل الدراسات الاثرية التى تمت فى هذا المشروع ، بل سنفصل القول - بقدر ما يفسح لنا الوقت - فى ما تم انجازه من تحريات وبحوث مماثلة فى المنطقة الخاصة بمشروع احياء النهروان .

والنهروان قناة واسعة كانت تسترشد الماء فى زمن العباسيين من دجلة فى مكان الى الشمال من المدينة الخالدة سامراء فكان يعرف جزءها العلوى هذا بالقطول الكسروى . ومن ثم كانت تنساب الى هذه القناة مياه نهر دىالى عند بلدة النهروان التى منها تمتد قناة النهروان مئى كيلومتر نحو الجنوب الشرقى فتسقى الاراضى المنبسطة الواسعة الواقعة الى الشرق من دجلة حيث كان طسوج المدائن عاصمة الفرس فى زمن الفرثيين والساسانيين . وتشاهدون هذه القناة على الخارطة فى (اللوح - ١) وهى مرسومة بخط متقطع يبتدىء قرب سامراء على دجلة ويقرب من بغداد من جهتها الشرقية ثم ينتهى بدجلة قرب مدينة الكوت أما الخطوط المتذبذبة فتمثل الافنية التى كانت تشعب من نهر دىالى فى زمن الفرس . وتمثل الدوائر العديدة فى هذه الخارطة القرى والمدن المهمة الدارسة فى منطقة النهروان .

ولقد طلبت الجهات العراقية المختصة باحياء النهروان الى مديرية الآثار أن تتحرى المناطق المشمولة بهذا المشروع وأن تركز هذه التحريات

(٢) تبييت امتداد النهر وان القفنة الكثرفة

المتشعبة منه على خرائط المسح بحسب أزمئتها • ولقد تبين لنا من هذه التحريات ان القفنة والجداول الكثرفة التي يشاهدها المتجول فى دلنا النهر وان تختلف زمنا وأقدمها يسبق القرن الخامس قبل المبلاد • الا اننا جمعا من البراهين الاثرفة ما يثبت ان قد كان فى منطقة النهر وان قفنة وجداول كثرفة منذ الالف الرابع قبل المبلاد ولكن جمفها اندرفس تمام الاندراس واندرثرت معالمها فلم ببق لها أثر على الارض سوى تلول أثرفة تعفن بتسلسلها امتداد تلك الانهر الدارسة • والجدر بالذكر ان معلومائنا عن النهر وان

قبل اءراء هذه التحرفات كانت تقتصر على ما ورد من وصف موجز واخبار مقتضفة فى كتب التاريخ والجغراففة العربفة التي يؤخذ منها ان النهر وان كان مزدهرا أهلا بالسكان فى العصر العباسى فى عهد الرشفد والمأمون ، وبعء الجغراففى « ابن سرابون » خفر من وصف النهر وان وفظن ان النهر كان فى غاية ازدهاره فى زمن هذا الكاتب اى فى نحو سنة ٣٠٠ للهجرة •

والنهر وان فحمل من دجلة ، وبدو ان أوله كان فى العصر العباسى أسفل من بلدة الدور بشىء سفر وكان يعرف أعلاه بالقاطول الكسروى وكان فسقى السهل الذى فى شرقى دجلة من فوق سامراء الى نحو مائى كيلومتر جنوب بغداد • وفسر مماسا لقصر المتوكلفة فى أعلى سامراء ، فبلدة « الاىاخفة » ، ثم تلئقى به القواطفل الئلاثة وهى نهر الفهوى ، فالأمونى فأبو الفند وصدورها كلها فى موضع واحد فى جانب دجلة الافسر وكان على النهر وان عند مصاب هذه القواطفل أول سد من

حول تعفن طرق الارواء وأساليب الزراعة القفمة مع الاهتمام بصورة خاصة بالوسائل التي كانت متبعة قفما لبزل الاملاح وانقاذ التربة من السبخ • أما الدوافع الى اهتمام هذه الجهات فى موضوع البزل واملاح التربة فهى لاننا فى العراق نجابه أكبر خطر فهدد الزراعة التي تعتمد على الارواء لاسفما فى القسم الجنوبى من العراق وهذا الخطر هو تراكم الاملاح فى التربة تدريجفا بتوالى السقى فتصبح الارض مشبعة بالاملاح ففسوها السبخ فلا فنبت فىها زرع ومعنى ذلك ان أراضى واسعة كانت مزدهرة بالعمران فسؤول الى الخراب •

وعلى هذا الاساس خصصت الحكومة العراقية المبالغ اللازمة لهذه التحرفات فقامت بها مفرفة الاثار العامة بالتعاون مع المعهد الشرقى التابع لجامعة شىكاغو الذى سبق له التفقب عن الاثار فى تلول أسمر وخفاجى واشجالى والاءرب الواقعة فى منطقة النهر وان لمدة تربو على سبع سفن من عام ١٩٣٠ الى ١٩٣٧ فأرادت مفرفة الاثار باسراكها المعهد المذكور فى هذه التحرفات الفدفة الاسفافة من المعلومات المتجمعة لى هذا المعهد عن منطقة النهر وان •

وقد شملت هذه التحرفات الامور الافة :-

(١) اسفكشاف جمفم التلول والخرائب الاثرفة فى منطقة النهر وان وتبفئ مواقعها على خرائط خاصة ، مع تعفن الاطوار الحضارفة لكل من تلك التلول والخرائب بدراسة كسر الفخار وشقف الخزف المبعثرة عليها • وقد تم اسفكشاف أكثر من ستمائة موقع اثرى من مءلف الدور •

السكنى فيهما ولمعرفة تاريخ قناة النهر وان التي تشق اطلال هاتين المدينتين ، كما انه كانت هناك غاية اخرى من هذا الحفر وهي دراسة صناعة الفخار والخزف الاسلامى وتطورها والزمن الذى ظهر فيه كل صنف من هذه الانار فى مدن النهر وان .

وجرى التقيب ايضا فى مجرى النهر وان لتحديد الترسبات المتجمعة فيه ودراسة مواد تلك الترسبات وكمياتها ، كما تركز الحفر بوجه خاص فى مكان الشاذوران الاسفل فاستظهر هذا السد من تحت الرمال المتراكمة .

فوجد انه يكاد يكون كاملا بالشكل الذى كان عليه فى آخر ايام النهر وان فى القرن السادس للهجرة . وهذا السد له اهمية خاصة لانه لا مثيل له فى العراق يرتقى بزمنه على ما يظن الى نهاية القرن الاول للهجرة .

ووشملت هذه التحريات البحث فى اساليب الزراعة القديمة ، وتعيين أنواع الحبوب والاثمار التى عرفت فى منطقة النهر وان فى مختلف العصور ، وذلك بطريقة حديثة من البحث لم تكن مطبقة الى الان فى العراق . وهذه الطريقة تعتمد على ملاحظة الفراغات فى كسر الفخار والاجر واللبن ، تلك الفراغات الناتجة عن وجود حبوب أو نوى اثمار فى الطينة التى صنع منها الفخار أو الاجر أو اللبنة التى تفسخت بمرور الزمن فلم يبق الا الحيز أو الفراغ الذى كانت تشغله وهذا الحيز بشكلها تماما بحيث يمكن عمل قالب لتلك الحبوب أو النوى بملء الفراغ بأية مادة رطبة كاللدائن أو الطين ، ولا يخفى ما لهذه الطريقة من أهمية بالغة نظرا الى كثرة ما يوجد من

السدود الثلاثة الكبيرة التى كانت تعرف بالشاذورانات وبواسطتها كانت مياه النهر وان توزع على الاراضى المجاورة .

ثم يمر النهر وان الى مدينة صولى أو صلوى وأسفل منها مدينة « باعقوبا » التى ما زالت تعرف بهذا الاسم وعندها تلتقي مياه نهر دىالى - الذى كان يعرف بـ « تامرا » - بمياه القاطول الكسروى ثم الى باجسرا ، ومنها الى بلدة جسر النهر وان التى عندها فما دونها جنوبا يعرف النهر باسم النهر وان ، ثم يمر بالشاذوران الاعلى وهو السد الثانى الكبير على النهر وان ، ثم يمر الى جسر بوران ثم مدينة عبرتا التى ما زالت خرائبها تعرف بهذا الاسم ، ثم الى الشاذوران الاسفل الذى يشاهد موقعه على الخارطة فى (اللوح - ١) . ثم يمر النهر وان الى « اسكاف بنى جنيد » وهى أكبر مدينة كانت على هذا النهر وتعرف خرائبها اليوم بـ « سماكة » . ثم يمر النهر وان بعد اسكاف بين قرى متصلة وضياع مائة الى أن يصل الى دجلة .

وتذكر المصادر العربية ان النهر وان جرى تعميره مرارا بكريه (تنظيف مجراه) وسد البثوق التى كانت تحدث فى جوانبه وكان آخر من أصلح هذا النهر بهروز عام ٥٤٠ للهجرة ولكن الخراب أتى عليه بعد ذلك بزمن قصير فضب ماؤه فى نهاية حكم السلاجقة فى العراق وهجرت مدنه هجرا تاما وظل النهر وان خرابا الى يومنا هذا .

وتسعى حكومة الجمهورية العراقية الى استصلاحه واحياء ما حوله من اراضى .

(٣) وتضمنت التحريات الاثرية عملا آخر غير ما ذكرنا فقد شملت اجراء الحفر فى نقاط من خرائب اسكاف بنى جنيد وعبرتا وذلك لتعيين أزمنا

العباسي بالشاذوران الاسفل ، وشاذوران لفظة فارسية - على ما يبدو لنا - يراد بها السد الذي ينظم مياه الري بحجز تلك المياه وتوجيهها الى مسالك معينة وهو مشيد بالاجر المحروق حرقا شديدا والسمنت الذي كان ولا يزال يستعمل في الابنية القريبة من مجارى المياه ، ويعرف هذا السمنت في العراق بالثورة وهذا السد عبارة عن جدار ثخين في وسطه اربع فتحات تخترقه من جانب الى آخر ولهذه الفتحات الاربع بوابات من الممكن سدها والتحكم بكميات المياه المارة خلالها وذلك بانزاع البوابات المصنوعة من الخشب كثيرا أو قليلا بحسب الكميات المطلوب اطلاقها عبر السد .

ويشاهد في هذه الصورة بين الفتحين الثانية والثالثة كتلة بنائية عريضة سطحها الاعلى ينحدر من الامام الى الخلف ، اذ تدفق فوقها مياه النهروان في زمن الفيضان عندما تضيق الفتحات الاربع عن استيعاب كميات المياه الجارية كما تدفق المياه فوق هذه الكتلة حين تنتهي الحاجة الى تصريفها في الجداول المتشعبة عن النهروان وذلك في موسم الشتاء حينما تبتقى الزروع بالامطار .

وتبين لنا نتيجة والحفر جوار هذا السد ان بناءه كان مشيدا على انقاض سد أقدم زمانا لعله من العهد الساساني في العراق يختلف في قياسات آجره عن آجر السد الاسلامي .

ويشاهد في الصورة (اللوح - ٤) منظر للواجهة الامامية للشاذوران فيه معالم الفتحات الاربع وبينها ، حيث يقف الشخص اليمين ، السكنة البنائية التي كان الماء الزائد في موسم

كسر الفخار والاجر في المدن الدارسة على اختلاف أزمنتها .

(٥) وتناولت هذه التحريات كذلك جمع المعلومات الواسعة عن هذه المنطقة بقراءة الوثائق والنصوص المسماة بالكثيرة المكتشفة في مختلف مدن العراق ، لاسيما ما وجد منها لدى التقيب في بعض تلول هذه المنطقة قبل نحو ربع قرن من الزمن . وما جاء ذكره ايضا في المصادر العربية مع الاهتمام بصورة خاصة بما له صلة بموضوع سبخ التربة ومكافحته . والعمل جار الان على تنسيق جميع الدراسات التي تمت بنتيجة هذه التحريات الاثرية وطبعها في مؤلف واحد ارصد له المال اللازم .

وتشاهدون في الصور الاتية بعض النواحي الخاصة بالتحريات الاثرية في النهروان ففي هذه الصورة (اللوح - ٢) منظر من الجو لموقع السد على مجرى النهروان وبعض البوابات التي كانت توزع بواسطتها المياه في الجداول المتشعبة ، فلبقعة السوداء في الوسط تكونت من تدفق المياه من فوق السد الذي ترى بقاياها في وسط الصورة وأمامه يمتد مجرى النهروان ويلاحظ فيه خندق يعترضه شق لغرض دراسة التربة المترسبة في عقيقه . ويمتد النهروان الى الجنوب حيث تشاهد معالمه باللون الاسود من هذه الصورة ، وفي أعلى الصورة اقية وجداول متشعبة منه . أما الشريط الاسود الذي يجاور الحوض من الغرب ، فهو مجرى ثانوي تجرى فيه المياه حينما تدعو الحاجة الى اجراء ترميم وصيانة في السد .

والصورة الاتية (اللوح - ٣) فيشاهد فيها جزء من هذا السد الذي كان يعرف في العصر

الفيضان ينساب فوقها ، ونلاحظ المصاطب المشيدة امام اسس واجهة هذا السد ومنها حيث وضعت عصا القياس وكان الغرض من انشاء هذه المصاطب زيادة في دعم البناء ، ولتلافى الحفر والتعرية الناتجين عن الدورات المائية جوار السد ، ونشاهد في الصورة ايضا طبقات الرمال والطين المترسبة في مقدمة السد ووجدنا في الطبقة السفلى منها شقفا من الخزف المطلي بدهان ازرق وبقع بنية اللون مما عرف في القرنين الاول والثاني للهجرة في العراق ، ويظن ان هذه الشقف تعود الى زمن تشييد السد الاسلامي ومما يذكر في هذه المناسبة ان لمجرى النهر وان فوق هذا السد جدارين مشيدين بالاجر والنورة ، يحصران تيار المياه فوق السد ويشاهد احد هذين الجدارين في القسم الاعلى من الجهة اليسرى لهذه الصورة ، فعرض السد محدود بمقدار المسافة بين الجدارين وهي ٣٧/٥٦ مترا وبهذا السد يمكن رفع مستوى مياه النهر وان الى حوالي ثلاثة أمتار فوق مستواه الطبيعي ، ويؤثر ذلك على مستوى مياه النهر وان الى مسافة (٢٥) كيلومترا من شمال السد ، فالشاذوران الاسفل على هذا الاساس وسيلة بالغة الاهمية لتسليط المياه على الحقول وتنظيم الكميات المطلوبة للارواء .

عليهم توزيع المياه عليها بشكل مضمون . ونذكر بهذه المناسبة ان التقييات في المدن الاسلامية في العراق مثل سامراء وواسط والكوفة ، كشفت عن تنظيم دقيق لتصريف المياه في المدن مما لم يكن معروفا قبل ذلك . وقد بلغوا شوطا بعيدا في هذا المضمار بحيث يقال ان اقنية تصريف المياه في مدينة بكن والتي كانت مستعملة حتى قبل سنوات هي من تصميم ووضع المهندسين العرب الذين نقلهم المغول الى بلاد الصين . أما الصورة في (اللوحة - ٥) فنرى فيها بقايا فتحتين من الفتحات الاربع للسد وعرض كل فتحة منها (٩٥) سم ويقدر ارتفاع كل منها بنحو مترين ، ويشاهد في يسار الصورة بقايا الجدار الذي كان يحجز المياه من جهته الشمالية فيرغمها على المرور فوق الشاذوران . ولقد جست الطبقات المترسبة في قعر النهر وان ، بخندق امتد من جانب النهر الى جانبه الثاني ووجد ان تلك الطبقات المترسبة يتجاوز ارتفاعها خمسة أمتار ، واشرت على جانبي الخندق حدود تلك الطبقات بخطوط . وبقياس طول كل من هذه الخطوط ومقدار انحنائه اى تقعره أمكن حساب كميات المياه التي كانت تجرى فيه اى مقدار منسوب النهر وان في زمن كل من تلك الخطوط .

وكان في صدر كل فرع من فروع النهر وان ناظم ذو بوابة واحدة أو اثنتين ويشاهد في (اللوحة - ٦) أحد تلك النواظم ، أخذت صورته قبل الانتهاء من الحفر فيه . وكانت كمية المياه المناسبة الى داخل القناة تقنن بواسطة البوابة عند مرورها بالفتحة الميئة في هذه الصورة على شكل قوس وسط هذه الكتلة البنائية . أما الارتفاع

حقا ان هذا السد يعد من مفاخر مشاريع الري في العراق وخير شاهد على مدى ما بلغه القوم في العصر العباسي من تدقيق في التنظيم الزراعي وهو خير شاهد على ما كانوا يتصفون به من خبرة واسعة ودراية تامة في معرفة طبيعة الاراضي وضبط مقادير انحداراتها ، وقد ابتكروا الاجهزة اللازمة لقياس تلك المنحدرات مما سهل

الري في العراق وخير شاهد على مدى ما بلغه القوم في العصر العباسي من تدقيق في التنظيم الزراعي وهو خير شاهد على ما كانوا يتصفون به من خبرة واسعة ودراية تامة في معرفة طبيعة الاراضي وضبط مقادير انحداراتها ، وقد ابتكروا الاجهزة اللازمة لقياس تلك المنحدرات مما سهل

الاصلي لهذه الفتحة فيبلغ نحو خمسة أمتار • والناظم عبارة عن جدار مشيد بالاجر والنورة يكون عند بداية الجدول أو القناة المتشعبة عن النهروان ويكون في وسط هذا الجدار فتحة معقودة تنفذ منها المياه ، أما كيفية تنظيم المياه المناسبة عبر هذه الفتحة فتكون على ما يظن بواسطة الألواح الخشب التي تدلى من الاعلى فترتكز نهايتها السفلى على جانب الدكة التي يقف عليها العامل في هذه الصورة ، وترتكز نهايتها العليا على عقادة القوس فوق الفتحة •

ومن المباني المهمة المكتشفة بنتيجة التحريات الاثرية في منطقة النهروان بقايا قصر ذي أهمية في دراسة تطور الرياضة الاسلامية واقع في خراب مدينة اسكاف بني جنيد التي تعرف خرابها الآن بسماكة (انظر اللوح - ٧) التي هي على ما ذكرنا ثلاثة كيلومترات من جنوب الشاذوران الاسفل ، وتعد اطلالها الآن أوسع الخراب على النهروان وهي ممتدة على جانبيه في مساحات واسعة ، وقد ورد اسم هذه المدينة في جغرافية بطليموس مما يدل على وجودها في القرن الثاني للميلاد ، كما جاءت اشارات عنها في كتب الجغرافية والتاريخ العربية القديمة يستدل منها انها عاشت حتى منتصف القرن السادس للهجرة واستولى عليها الخراب بخراب النهروان •

ويبدو من موقع هذه المدينة انها كانت تعتمد في زراعتها على سلامة بناء الشاذوران الاسفل ، وكانت اقتصادياتها متوقفة على حالة هذا السد الحيوى وصلاحيته في تنظيم ري مزارعها •

ويقع القصر المكتشف في هذه المدينة على ضفة النهروان اليسرى وهو مشيد في طبقات بائية من

العهود الساسانية في العراق ولعله اشىء في العهد الاموى وربما في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك الذى اشهر عهده باشاء القصور واقامة السدود وتنظيم الري وشق الاقنية ، وكان عامله في العراق آنذاك خالد بن عبدالله القسرى الذى كانت ولايته في الكوفة من ١٠٥-١٢٠ للهجرة • واشتهر في زمنه في العراق حسان النبطي بكثرة اعمال الري البارعة التي تم انجازها على يديه •

ويبدو ان هذا القصر كان يتألف من ثلاثة أقسام في استقامة واحدة احدها في الوسط والاخران يؤلفان جناحي البناء وفي القسم الوسطي فناء مستطيل الشكل تطل عليه وحدة بنائية من الطراز الحيري تتألف من ايوان وكمين على جانبيه وبهو استقبال كبير خلف الايوان •

وكانت جدران ذلك الايوان وبهو الاستقبال مزينة بزخارف جصية جميلة ذات اهمية خاصة في البحث عن اصول الزخارف الجصية المألوفة في القصور العباسية في سامراء ففى (اللوح - ٨) يشاهد الركن اليسرى من الايوان وجبهته وبقايا العمود الذى يزين ذلك الركن • وهناك نماذج اخرى للزخارف الجصية وجدت تزين جدران بعض الغرف في هذا القصر ومنها زخارف مرتبة ضمن اطر مختلفة الاشكال وقوام هذه الزخارف عنقيد العنب وأوراق الكرم وأجفانه • وهذه الزخارف هي اصول الطراز الاول الذى اشتهر في سامراء حيث تصنف الزخارف على ثلاثة طرز احدها هذا الطراز •

وفى (اللوح - ٩) تشاهد جدران فى الكم اليسرى جوار الايوان وهي من دورين بنائين احدهما ، الدور السفلى بالملاط الجصي الابيض ،

وأسفله القسم الخالي من الملاط في الشكل ، وهو يمثل الدور الاقدم ، ويبدو ان الخراب قد أصاب هذا القصر في حدود القرن الثالث للهجرة ثم اعيد بناؤه بعد أن جرت تسوية جدرانه الى ارتفاع نحو نصف متر حيث وضعت طبقة من كسرات الاواني الفخارية لتعزل رطوبة الارض عن الاقسام العليا وقد عثر على كتابات منقوشة في الطلاء الجصي لاسيما في الجدار الكائن في يسار الصورة في (لوح - ٩) ومن هذه الكتابات ما في الصورة (اللوح - ١٠) وهذا نصها :-

وفي الشطر الغربي من خرائب سماكة عثر على بقايا مسجد (اللوح - ١١) يشبه تصاميم المساجد الجامعة الاولى التي انشئت في البصرة والكوفة وواسط الا انه اصغر منها مساحة ، وهو مربع الشكل لولا الانحراف في ضلعه الجنوبية الشرقية ، وقد جددت عمارة اقسام منه في ادوار مختلفة ، وكان آخر ذلك في القرن السادس للهجرة وقد تساقطت جدرانه واقواسه بعد خراب المدينة وظلت مطروحة على الارض الى يومنا هذا ويتألف هذا المسجد من صحن مكشوف . في كل من مقدمته ومجنبته مسكبان من البلاطات . أما جزء المصلى فيتألف من خمس مساكب كل منها يتكون من اثني عشر بلاطا وكانت أعمدة الاروقة من جذوع الاشجار باستثناء الاروقة المحيطة بالصحن فقد كانت أعمدتها مشيدة بالاجر تقوم فوقها أقواس من الاجر ايضا . وفي الضلع الجنوبية الغربية لهذا المسجد محراب ، وجد ما تبقى منه مظليا بالجص مزخرفا بمضادات وعمد ومناكب ومزينا بنقوش هندسية رسمت بالاصباغ المائية .

ووجدت كتابات محفورة حفرا دقيقا على قطع متساقطة من الطلاء الجصي للمحراب ، وهي تذكر اسم هذا المسجد ومنها الكتابة التي في (اللوح - ١٢) ونصها : « المسجد العلوي » وكتابة اخرى جاء فيها اسم « داود بن حسن العلوي » ولعل هذا المسجد كان ينسب الى عائلة هذا الرجل ويحتمل ان داود بن حسن العلوي هذا قام بتجديد عمارة هذا المسجد .

أما المنطقة الثالثة من مناطق مشاريع الري الكبرى في العراق التي كانت مسرحا لعمليات

« رحم الله ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف الزهري ومعاوية بن ابي سفيان » ، واسلوب خط هذه الكتابة كوفي مبسط من الطراز الذي شاع استعماله في العراق على ما نظن في بداية القرن الرابع للهجرة .

رحم الله ابو بكر
وعمر وعثمان
وعلي وطلحة
وزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن
والزهري وعوف
الزهري ومعاوية
ابن سفيان

« رحم الله ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف الزهري ومعاوية بن ابي سفيان » ، واسلوب خط هذه الكتابة كوفي مبسط من الطراز الذي شاع استعماله في العراق على ما نظن في بداية القرن الرابع للهجرة .

التنقيب الواسعة ، فهي منطقة حوض دوكان حيث يوجد نحو اربعين تلاً أثريا ستغمرها المياه التي بدأت حديثا تتجمع في سهل مرگه - بتوين الواقع بين الجبال في لواء السلیمانية بنتيجة انجاز تشييد السد على الزاب الصغير في دوكان والشروع بحبس المياه في الحوض المذكور .

ونشاهد موقع حوض دوكان في الزاوية اليسرى في أسفل الخارطة (اللوح - ١٣) ويعد هذا الحوض عن بغداد في خط مستقيم بما يقارب الثلثمائة كيلومتر . وتشاهد في الشكل ذاته أماكن التلول الاثرية مؤشرا على كل منها بعلامة نجمة ، ومنها تسعة تلول تناولتها أعمال التنقيب والتحري وهي التي اشر عليها بنجمة داخلها مسود .

ولقد بدأت حفريات مديرية الآثار العامة في تلول هذه المنطقة في عام ١٩٥٦ واستمرت في

صيف كل سنة لاربعة مواسم من العمل . وبما ان اعمالها كانت اول تنقيب واسع في منطقة كردستان فلقد كان لما كشفت عنه اهمية بالغة في دراسة تاريخ تلك المنطقة وأطوارها الحضارية ، وصلاتها مع بلاد سومر وبابل وآشور . وكشف في احدها وهو تل شمشارة على ألواح من الطين يناهز عددها ثلثمائة رقيم دون عليها بالمسمارية رسائل لاحد زعماء المنطقة الذي كان تابعا لملك آشور في القرن الثامن عشر قبل الميلاد^(٢) ، وهذه الكتابات هي الان قيد الدرس والتحليل لما فيها من معلومات قيمة عن سكان المنطقة في الالف الثاني قبل الميلاد .

(٢) راجع مقال البروفسور يورغن ليسو المنشور في القسم الاجنبي من هذا المجلد بعنوان :

Joergen Laessoe: The Second Shemshara Archive.

« سومر »

مركز بحوث ودراسات
مركز بحوث ودراسات
مركز بحوث ودراسات